Journal of Yarmouk Volume (21) Issue (1) October (15-10)(2023)

ISSN 2075-2954 (Print)
Journal of Yarmouk available online at
https://www.iasj.net/iasj/journal/239/issues
مجلة اليرموك تصدرها كلية اليرموك الجامعة

التماسك النصي في قصيدة ابي البقاء الرندي (رثاء الاندلس)

أ.م.د صفاء حسين لطيف

جامعة كربلاء كلية العلوم الإسلامية قسم لغة القران وآدابها

altamasuk alnisiyu fi qasidat abi albaqa' alrandiu (ritha' alandlis)

u.m.d safaa hussain lateef
safaahussain@uokerbala.edu.iq
University of Kerbala- Islamic of college
The department of arabic

الملخص:-

يتناول البحث احدى القصائد الخالدة في رثاء الاندلس بعد سقوط مدنها الواحدة تلو الأخرى بيد الافرنج الا وهي قصيدة ابي البقاء الرندي (رثاء الاندلس) ودراستها دراسة نصية واستعمال أساليب التماسك النصي وتطبيقها على هذه القصيدة, ولم يخرج الباحث عن تقسيمات د عيسى الوداعي لمستويات التماسك النصي , وتهد قصيدة ابي البقاء الرندي من القصائد المليئة بالتماسك النصي اذ اتضح ذلك من خلال الترابط الموضوعي وربط الأفكار بعضها ببعض . **الكلمات الافتتاحية:-** قصيدة أبي البقاء الرندي ، التماسك، الرثاء، دراسة نصية.

altamasuk alnisiyu fi qasidat abi albaqa' alrandiu (ritha' alandlis)
yatanawal albahth aihdaa alqasayid alkhalidat fi ritha' alaindls baed suqut muduniha alwahidat tilw al'ukhraa biad alafranj ala wahi qasidat aby albaqa' alrandiu (ritha' alaindlas) wadirasatuha dirasat nasiyat waistiemal 'asalib altamasuk alnasiyi watatbiquha ealaa hadhih alqasidati, walam yakhruj albahith ean taqsimat d eisaa alwadaei limustawayat altamasuk alnasiyi , watahid qasidat abi albaqa' alrandia min alqasayid almaliyat bialtamasuk alnasiyi adh aitadah dhalik min khilal altarabut almawdueii warabt al'afkar baeduha bibaed alkalimat aliaftitahiatu:- qasidat 'abi albaqa' alrandiu , altamasku, alritha'a, dirasat nasiyatun.

المقدمة

لم تقف مدارات النقد الادبي الحديث عند حد معين بل توسعت حتى طالت مستويات النص من الداخل فتحول تناول النصوص الى عملية اكثر دقة وصرامة فكان التعامل مع النصوص كنظام مغلق ثم بعد ذلك بدات مرحلة الغوص والتعمق لاكتشاف خبايا النصوص ومنطلقاتها إضافة الى توضيح النظم والاليات التي تحكم النصوص وهو ما اطلق عليه حديثا (بالمناهج النصية) ومنها ما ركز على قراءة النصوص قراءة تفصيلية تهدف الى استظهار البنى اللغوية الداخلية التركيبية والدلالية . وان المهمة الأساس لعلم النص تركتز على وصف العلاقات الداخلية والخارجية لبناء النص بمستوياته المختلفة معتمدا على شرح الظواهر المتعددة لاشكال التواصل واستخدام اللغة [١]لكن نحو النص يختلف عن علم النص باتساعه وذهابه الى مستو اخر اذ يستند في تفسيراته الى قواعد منطقية ودلالية مع مايمكن اعتماده من قواعد تركيبية ؛ليقدم لنا صياغات كلية للابنية النصية [٢]وتحاول هذه الدراسة تقديم قصيدة أبي البقاء الرندي (رثاء الاندلس) لتسليط الضوء على نسجها اللغوي واشراك المتلقي بشكل فعال ليقف على الخصائص النصية المهمة وادراكها ومعرفة اهم الغايات الدلالية والتركيبية إضافة الى عدم تناسي الأثر الادبي الذي يعد بينة لسانية تحمل في طياتها علاقة ترابطية .

اهمية البحث:-

تكمن اهمية البحث في تسليط الضوء على قضية مهمة تهم الادب العربي في الاندلس وهي رثاء المدن والممالك الأندلسية وسقوطها واحدة تلو الاخرى بيد الافرنج ، ونتيجة لهذا الحدث التاريخي ظهرت لنا العديد من القصائد التي رثت المدن الأندلسية وبكتها ومن القصائد التي يشار اليها بالبنان قصيدة أبي البقاء الرندي التي تناولتها الاقلام الادبية بمختلف مجالاتها نظرا لموضوعها اولاً ولبراعة مؤلفها ثانيا الاّ ان هذه الدراسة تركز على جانب جديد من جوانب الدراسة يهدف للكشف عن اهم الوسائل النصية المتوفرة في هذه القصيدة ومحاولة اثبات ان هذه القصيدة تعد نصاً متماسكا تتوافر فيه ادوات الاتساق والانسجام، اضافة ان الاهمية تنبع من التمساك النصي نفسه.

اسباب اختيار الموضوع :-

١- الحدث التاريخي الذي اصاب الاندلس بعد فتحها على يد العرب ونشر الثقافة العربية وانتشار الاسلام وتعاليمه الدينية والثقافية والعلمية في الاندلس كافة ثم بعد ذلك انهيار هذا الهرم القوي وسقوط اجزائه الواحدة تلو الاخرى جعل من غرض الرثاء لهذه المدن والمعالم دوراً مهما في ابراز اهميتها الجغرافية والسياسية والثقافية اضافة الى البعد النفسي.

٢- التركيز على ادوات التماسك النصي وتتبعها واظهار دورها في بناء النص واهميتها في ربط عناصره الداخلية. ويهدف البحث الى الوقوف على نشأة التماسك النصي وبيان مفهومه، اضافة الى توضيح ما تضمنته قصيدة أبي البقاء الرندي من ادوات التماسك النصي وكيفية عملها ثم بيان علاقة العناصر ببعضها البعض بمستويتها النحوية والمعجمية والدلالية والتداولية المختلفة وقد استند البحث في منهجيته على تقسيم د.عيسى الوداعي لمستويات التماسك النصي في كتابه { التماسك النصي في نهج البلاغة الى التماسك الشكلي والتماسك الداخلي} [٣]

الرثاء: لغة واصطلاحاً.

الرثاء لغةً :

الرثاء : ((رثيتُ الميت رثياً ورثاءً ورثاية، بكسرهما، ومرثاة ومرثية، مخففة، ورثوته: بكيته وعددت محاسنه)) [٤]وجاء في لسان العرب في مادة (رثى): ((ورثى فلان فلاناً يرثي رثياً ومرثية إذا بكاه بعد موته.رثى فلان فلانا يرثي رثيا ومرتبة اذا بكاه بعد موته...)) [٥]واما في تاج العروس فالرثاء ((رثيت الميت رثياً بالفتح)) [٦] وهذا يدل على ان لفظة الرثاء لها اصولها في المعاجم العربية ومن ذلك انطلق اللغويون وذهبوا الى ان الرثاء هو البكاء على الميت وذكر محاسنه، وتعداد فضائله ومناقبه.

اصطلاحاً.

تكلم القدماء والمحدثون عن الرثاء [٧] فنجد ان الفراهيدي يعرفه بـ: ((رثى فلان فلاناً يرثيه رثيا ومرثية، اي يبكيه ويمدحه، والاسم: المرثية...)) [٨]ومنهم من يذهب الى ان الرثاء لا يختلف اختلافاً كبيراً عن غرض المدح والثناء فمزج بين المدح والرثاء، فهم يرون ان الرثاء في اصله هو مديح الميت، وذكر محاسنه، وفضائله وهو ربط بين العاطفة وموافقة المعنى في خطاب الشعر ؟ كالامدي وقدامه بن جعفر فهناك من ذهب الى التفريق بينهما فـ ((من النقاد والمحدثين من سار على نهج ابن طباطبا ومن تبعه من النقاد في التفرقة بين المدح والرثاء في الفاظه ومن هؤلاء الدكتور ابراهيم الفوزان الذي يرى ان المدح والرثاء متفقان فكلاهما فيه ذكر للمناقب)) .

قصيدة أبي البقاء الرندي

التعريف بأبي البقاء الرندي:

هو البقاء صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن ابي القاسم بن علي بن شريف الرندي الاندلسي (٦٠١هـ -٦٨٤ هـ /١٢٠٤م - ١٢٨٥م) وهو من ابناء (رندة) قرب الجزيرة الخضراء بالأندلس واليها نسبته.عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وعاصر الفتن والاضطرابات التي حدثت من الداخل والخارج في بلاد الاندلس وشهد سقوط معظم القواعد الأندلسية في يد الاسبان، وحياته التفصيلية تكاد تكون مجهولة، لولا شهرة هذه القصيدة وتناقلها بين الناس لما ذكرته كتب الادب. وتوفي في النصف الثاني من القرن السابع ولا نعلم سنه وفاته بالتحديد.[٤]

مرثية الأندلس - أبو البقاء الرندي

لكل شيءٍ إذا ما تم نقصانُ * فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسان**
هي الأيامُ كما شاهدتها دُولٌ * مَن سَرَّهُ زَمنٌ ساءَتهُ أزمانُ**
وهذه الدار لا تُبقي على أحد * ولا يدوم على حالٍ لها شان**
يُمزق الدهر حتمًا كل سابغةٍ * إذا نبت مشْرفيّاتٌ وخُرصانُ**

وينتضي كلّ سيف للفناء ولوْ *** كان ابنَ ذي يزَن والغمدَ غُمدان
أين الملوك ذَوو التيجان من يمنٍ *** وأين منهم أكاليلٌ وتيجانُ ؟
وأين ما شاده شدَّادُ في إرمٍ *** وأين ما ساسه في الفرس ساسانُ ؟
وأين ما حازه قارون من ذهب *** وأين عادٌ وشدادٌ وقحطانُ ؟
أتى على الكُل أمر لا مَرد له *** حتى قَضَوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك *** كما حكى عن خيال الطّيفِ وسْنانُ
دارَ الزّمانُ على (دارا) وقاتِلِه *** وأمَّ كسرى فما آواه إيوانُ
كأنما الصَّعب لم يسْهُل له سببُ *** يومًا ولا مَلكَ الدُنيا سُليمانُ
فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوَّعة *** وللزمان مسرّاتٌ وأحزانُ
وللحوادث سُلوان يسهلها *** وما لما حلّ بالإسلام سُلوانُ
دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاءَ له *** هوى له أُحدٌ وانهدْ ثهلانُ
أصابها العينُ في الإسلام فامتحنتْ *** حتى خَلت منه أقطارٌ وبُلدانُ
فاسأل (بلنسيةً) ما شأنُ (مُرسيةً) *** وأينَ (شاطبةٌ) أمْ أينَ (جَيَّانُ)
وأين (قُرطبةٌ) دارُ العلوم فكم *** من عالمٍ قد سما فيها له شانُ
وأين (حْمص) وما تحويه من نزهٍ *** ونهرهُا العَذبُ فياضٌ وملآنُ

قواعدٌ كنَّ أركانَ البلاد فما *** عسى البقاءُ إذا لم تبقَ أركانُ
تبكي الحنيفيةَ البيضاءُ من أسفٍ *** كما بكى لفراق الإلفِ هيمانُ
على ديار من الإسلام خالية *** قد أقفرت ولها بالكفر عُمرانُ
حيث المساجد قد صارت كنائسَ ما *** فيهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدةٌ *** حتى المنابرُ ترثي وهي عيدانُ
يا غافلاً وله في الدهرِ موعظةٌ *** إن كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ
وماشيًا مرحًا يلهيه موطنهُ *** أبعد حمصٍ تَغرُّ المرءَ أوطانُ ؟
تلك المصيبةُ أنستْ ما تقدمها *** وما لها مع طولَ الدهرِ نسيانُ
يا راكبين عتاق الخيلِ ضامرةً *** كأنها في مجال السبقِ عقبانُ
وحاملين سيُوفَ الهندِ مرهفةٌ *** كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعةٍ *** لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ *** فقد سرى بحديثِ القومِ رُكبانُ ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم *** قتلى وأسرى فما يهتز إنسان ؟
ماذا التقاُطع في الإسلام بينكمُ *** وأنتمْ يا عبادَ الله إخوانُ ؟
ألا نفوسٌ أبياتٌ لها هممٌ *** أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ
يا من لذلةِ قومٍ بعدَ عزّهمُ *** أحال حالهمْ جورُ وطُغيانُ
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم *** واليومَ هم في بلاد الكفرِ عُبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليل لهمْ *** عليهمُ من ثيابِ الذلِ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعهمُ *** لهالكَ الأمرُ واستهوتكَ أحزانُ
يا ربَّ أمّ وطفلٍ حيلَ بينهما *** كما تفرقَ أرواحٌ وأبدانُ
وطفلةً مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعت *** كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ

يقودُها العلجُ للمكروه مكرهةً * والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ**

لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ * إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ**

التماسك النصي :ـ النشأة والمفهوم :ـ

انتقل الباحثون في الدراسات الحديثة الى التعمق في النصوص والغوص في بنيتها العميقة وفق ما توفرت لهم من أدوات منهجية جديدة تمكنهم من فعل ذلك , ولان ما جاءت به الدراسات السياقية القديمة من دراسة للنصوص (ماهو خارج النص) ولم تعر اهتماما الى ما يوجد داخل النص وهذا بدوره لا يفتح الأبواب التي تطل على علاقات النص الداخلية ومعرفة الأنظمة التي تربطها ببعض وفق شبكة محكمة من اليات الترابط وهذا ما اطلق عليه بـ(موت المؤلف) وولادة النص اذ يمكن عد هذه المرحلة هي البداية التي صبت اهتمامها بالمفهموم اللساني للنص وهو ماكان في ستينيات القران الماضي وتظهر أهميته بدراسة الأنظمة النصية وكيفية ترابطها واشتغالها وقد أشار الباحث حمادي حمود الى ان النص ((بوصفه تقاطعاً من المعارف والقدرات يتعلق بقدرات المتكلم فهي معرفة اللغة ومعرفة العالم والمعرفة التفاعلية)) [١١]وهو هنا يؤكد على ان النص عبارة عن لغةٍ وقدرةٍ وتفاعلٍ، فهو يصب اهتمام الدراسات النصية على خطابية النص ((ودور النص ضمن منظومة معينة من النصوص المكونة لوحدة تواصلية تبلورت في ممارسات المجتمع عبر التاريخ ومن اللذين اقترحوا لهذه الوحدة بالرجوع الى المفهوم الفلسفي (***ميشيل فوكو***) اسم الخطاب)) [١٢]واذا مابحثنا عن نشاة علم النص نجدها ليست حديثة فقد كانت بداياتها في إشارات (دي سوسير) عندما تكلم عن الخطاب واكد ان الانسان لايعبر عن حاله بكلمات منفصلة ابدا وان هذه الكلمات والأفكار لايمكن ان تكون معبرة ومفيدة الا اذا تشكلت وفق علاقات مترابطة ومنسجمة مع بعضها البعض . [١٣]بينما نظر (هارليس) الى اغفال الدراسات اللسانية وجود جملة طويلة ولا متناهية يعجز النحو من الإلمام بقواعدها ما لم يعتمد الكفاية التي تتيح له دراسة النص وفهمه. وان (فان دايك) يعد المؤسس الحقيقي لعلم النص الذي وضع في كتابه (بعض مظاهر نحو النص). أفكاره وتصوراته للأسس و المبادئ لعلم النفس ,ويأتي الباحث محمد الصبيحي ليفرق لنا بين النص وعلم النص بقوله ((ان النص ليس مجرد مجموعة من الجمل التي لا رابط بينها وانما هو بنية متسقة يقوم على نظام داخلي معين اساسه علاقات منطقية ونحوية ودلالية تربط بين اجزاء النص ومقاطعه، وان مهمة علم النص هي دراسة ووصف هذه البنية والوقوف على شتى مظاهر الترابط النصي فيها من احالة واستبدال وتكرير وغيرها)) [١٤] ,وان مايسعى اليه علم النص في حقيقة الامر هو الايضاح والكشف عن القوانين والمعايير التي تجعل من النص مستقيما مثل معايير الاتساق والانسجام والقصدية والمقبولية . ومن ذلك نجد ان اللسانيات النصية تسعى الى ((الكشف عن الابنية السطحية والعميقة للنصوص من خلال البحث عن علاقات الترابط والتناغم والكشف عن العلاقات الرابطة بين القارئ والنص والمنتج ضمن ثلاثية (نص /سياق /تداول)) [١٥] , والتماسك والنص جزءان لايفترقان فلايمكن لاحدهما ان يكون بمعزل عن الاخر لانهما في حقل معرفي واحد وهو لسانيات النص فالتماسك ((هو الاحتباس والاعتدال والارتباط)) [١٦]. ومن ذلك يمكننا القول بان التماسك هو التعالق القوي المنسجم بين وحدات النص المختلفة بوساطة مجموعة من العالقات والأدوات الشكلية ذات الدور المهم في عملية الربط بين العناصر الداخلية من جهة وربط النص بمحيطه الخارجي والتفاعل معه من جهة أخرى لتكون محصلة نهائية مفادها انتاج رسالة للمتلقي ليفهمها أولا ويتفاعل معها سلبا او إيجابا .وهذا ما سيتم توضيحه في الجانب الاجرائي

التماسك الشكلي في قصيدة أبي البقاء الرندي:ـ

أ) الترابط الموضوعي :ـ

ان الوحدة الموضوعية للنص في أي خطاب شعري او نثري تكون ذات صلة منطقية وبهذه الصلة المنطقية تكمن قوة النص واتساقه من خلال الترابط والتآزر والتناسق على المستوى الموضوعي والدلالي . [١٧] ,ولان الافكار الفرعية بتدرجها وانتظامها تخدم الفكرة الرئيسية. واذا ما جئنا لبيان ذلك في قصيدة أبي البقاء الرندي نجد انها تحمل في مضمونها الدلالي رثاء الاندلس لكنها تتفرع الى سلسلة متعددة من الافكار خدمت المحتوى الاساسي من بناء القصيدة، فأبيات القصيدة جاءت في ترابطها الموضوعي **على النحو التالي:ـ تضمنت القصيدة ثلاثة افكار رئيسية هي :ـ**

١ـ **الحدث الاول:ـ** الاعتبار بزوال المدن والممالك وموت العظماء، التأسي بما جرى لهم عبر العصور.

٢ـ **الحدث الثاني:ـ** سقوط الدول الأندلسية الواحدة تلو الاخرى في يد العدو، وما حل باهل الاندلس من مصائب ونكبات

٣ـ **الحدث الثالث:ـ** الدعوة الى الجهاد لإنقاذ الاندلس بدعوة المسلمين الى الجهاد في سبيل الله (وفي القصيدة دعوة ظاهرة للاستنجاد بدوله بني مرين)

وهذه الاحداث الرئيسية تفرعت بدورها الى افكار فرعية يمكن ايجازها على النحو التالي:ـ

أ- كل شيء زائل وحكم الدهر جارٍ على من في هذه الدنيا.(الابيات ١ - ٥)

١ـ لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الايام كمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أزْمَانُ

ب – الاعتبار بالملوك والدول السالفة في التاريخ (٦– ١٢)

٢– أينَ المُلوكُ ذوو التيجانِ من يَمنٍ وأينَ مِنْهُمْ أكَالِيلٌ وتِيجانُ ؟

وأينَ ما شَادَهُ شَدَّادُ في إرمٍ وأين ما سَاسَه في الفرس ساسانُ؟

ج– نقله من الكلام العام عن نكبات الدهر، وتمهيد للدخول في موضوع(جزيرة الاندلس)(١٢–١٤)

٣– فجائعُ الدهرِ أنواعٌ منوعةٌ وللزمانِ مَسَرَّاتٌ وأحزانُ

وللحوادثِ سُلوانٌ يُسَهِّلُهَا وَمَا لِمَا حلَّ بالإسلامِ سُلوانُ

دَهَى الجزيرةَ أمْرٌ لا عزاءَ لهُ هوى لهُ أُحدٌ وانهدَّ ثَهلانُ

د – بداية الحديث عن نكبة الاندلس (١٥ – ١٧)

٤– أصابَها العينُ في الإسلامِ فامتحنت حتّى خلتْ منهُ أقطارٌ وبلدانُ

هـ – ذكر المدن الكبرى التي سقطت في يد العدو، والتحسر على ما اصابها (١٨– ٢٧)

٥– فاسألْ بَلَنْسِيَةَ ما شأنُ (مُرسيةٍ) وأينَ (شاطبةٌ) أمْ أينَ (جيَّانُ)؟

وأينَ (قرطبةٌ) دارُ العلومِ فكَمْ مِنْ عالمٍ قَدْ سما فيها لهُ شانُ

و– الاستنجاد بملوك دولة مرين، وقبائل المغرب عامة والاستنصار بهم (٢٨ – ٣٥)

٦– يا راكبينَ عِتاقَ الخيلِ ضامرةً كأنها في مجالِ السَّبقِ عُقبانُ

وحاملينَ سيوفَ الهندِ مُرهفةً كأنها في ظلامِ النَّقع نِيرانُ

وراتعينَ وراءَ البحرِ في دَعةٍ لهمْ بأوطانهمْ عِزٌّ وسُلطانُ

ز– تصوير نكبة الأندلسيين ومأساتهم الدامية (٣٦ – ٤٣)

٧– بالأمسِ كانوا ملوكًا في منازِلِهِم واليومَ همْ في بلادِ الكفرِ عُبدانُ

فلو تراهمْ حيارى لا دليلَ لهمْ عليهِمُ منْ ثيابِ الذلِّ ألوانُ

ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعِهِمُ لهالَكَ الأمرُ واستهوتْكَ أحزانُ

ان الترتيب التدريجي للاحداث داخل قصيدة ابي البقاء وحسن تنظيمها اعطى تصورا حقيقيا لتنظيم النص وايضاح ما تفرضه البنية الدلالية في بناء الخطاب لذا نجد الترابط والانسجام متفقين مع الفكرة الرئيسة ومكملة لها في غرض الرثاء الذي كتبت لاجله , ولان ترتيب الاحداث بشكل متسلسل يعد المظهر الأهم من مظاهر الاتساق للخطاب الشعري وتماسكه الشعري وهو الذي يحقق الاتساق والتماسك والتناسق للبناء الموضوعي الي من اجله قيلت القصيدة .

ب– الاحالة ((تسهم الاحالة في خلق النص وتماسك اجزائه، اذ لا يكون المتلقي قابلاً للتفاعل مع النص الاّ اذا تمثل ما تحيل اليه العبارات المستعملة في ذلك النص)) [١٨] ؛لذا فهي احدى أدوات التماسك النصي الفعالة وقد قسمت الى نوعين رئيسين هما الإحالة المقامية (الخارجية) والاحالة الداخلية . فالاحالة تلعب دورا مهما في ربط احداث النص ومجرياته تفصيلاته وقد حددها الباحثون بـ (إحالة قبلية واحالة بعدية).[١٩]

١– الاحالة القبلية.:– [٢٠]عند الولوج الى قصيدة أبي البقاء نجده استعمل الاحالة القبلية كأداة في تحقيق التماسك النحوي داخل الوحدة الموضوعية للنص واشتركت الاحالة في تحقيق الاحداث الفرعية المكونة للنص

الكلي **كما في قوله** :–

– هِيَ الايام كمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أزْمَانُ

نجد ان الضمير (الهاء) في كلمة (شاهدتها) يحيل الى كلمة متقدمة في النص وهي (الايام) في صدر البيت فقد تعمد الرندي استعمال الايام وهي اشارة قبلية مميزة تحيلنا الى قدرة الايام وسطوتها وقدرتها على سلب كل ما هو جميل في حياتنا وهي دلالة مضمرة للمعاناة التي حصلت في الاندلس واهلها .وهذه الاحالة افادة مميزة واعطت دلالة واضحة على تفسير كل ما حدث وايضاحه وهذا بدوره يعني ان الاحالة القبلية تقوم بدور فعال في اتساق النص وترابطه.

وهذا ما نجده ايضا في قول الشاعر:–

أينَ المُلوكُ ذوو التيجانِ من يَمنٍ وأينَ مِنْهُمْ أكَالِيلٌ وتِيجانُ ؟

فالضمير (هم) في (منهم) احالة واضحه الى سابق تفيد ربطها بالسياق العام للقصيدة مما يؤدي الى تعالق مفردات النص بعضها مع بعض، وهذا بدوره يقود ذهن القارئ الى الربط بين الابيات فالإحالة القبلية سعت الى الربط النصي وحققت الغاية المرجوة من هذه الاحالة وهو تخليص الوحدة الموضوعية من التكرار الممل او من الاعادة غير المبررة.

٢) الاحالة البعدية [٢١]:لا يقل استعمال الرندي للاحالة البعدية عنه في الاحالة القبلية. اذ شكل حرف التحقيق(قد) احد ادوات الترابط النصي اذ استعمل للربط بين لفظين وحالين [٢٢] . وهذا ما نجده في قولة:-

تبكي الحنيفيةُ البيضاءُ مِن أسفٍ كما بكى لفراقِ الإلفِ هَيمانُ

عَلى دِيارٍ مِنَ الإسلامِ خالِيَةٍ قَد أَقفَرَتْ وَلَها بالكُفرِ عُمرانُ

حيثُ المساجدُ قدْ صارتْ كنائسُ ما فيهنَّ إلّا نواقيسٌ وصُلبانُ

فجاء حرف التحقيق(قد) اشارة الى الاحالة التي كانت بها الاندلس قبل وبعد فحرف التحقيق (قد) حقق دلالةً نصية مميزة اظهرت لنا حالت الاندلس قبل سقوطها واستيلاء الافرنج عليها، وصورة التغير الديموغرافي الذي حصل عليها بعد سقوطها بأيدي الافرنج فساعد نظام الاحالة التمييز بين الحالتين. وتكرار هذه الاحالة البعدية في الابيات (٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩،٤٠) ,اذ افاد التطابق الدلالي بين عناصر (المحيلة والمحالة اليها) حجم التلهف والحسرة على الاندلس واهلها، وها في هذه الاحالة من الم شعر به الشاعر، وهذا بدوره حقق اتساقا بين وسائل الاحالة ومحتوى النص في ربط الوقائع مع بعضها البعض. فهو يصور الحالة التي كانت بها الاندلس قبل وقوعها بيد الاسبان وبعد ذلك فأسهمت الاحالة في تحقيق درجة الاتساق في كثير من اجزاء النص.

ج- التكرار:-للتماسك المعجمي دور كبير في علم النص ويعد التكرار جزءً مهما في تحقيق ذلك التماسك [٢٣] اذ يتم بناء التدرج في الخطاب الشعري لتحقيق الغاية ارادها الشاعر. وعند قراءة قصيدة أبي البقاء الرندي نجده يفعل هذا التكرار في قوله:-

((أينَ المُلوكُ ذوو التيجانِ من يَمنٍ)) ((وأينَ مِنْهُمْ أكَالِيلٌ وتِيجانُ))

وأينَ ما شَادَهُ شَدَّادُ في إرمٍ وأين ما سَاسَه في الفرس ساسانُ

ثم ينتقل ليقص علينا ما جرى مدن الاندلس فيقول :-

وأينَ قرطبةٌ دارُ العلومِ فكَمْ مِنْ عالمٍ قَدْ سما فيها لهُ شانُ

وأين حِمصُ وما تحويهِ مِنْ نُزَهٍ ونهرُها العذبُ فيّاضٌ وملآنُ

نجد ان الرندي اعتمد هذا التكرار لتحقيق ميزه مهمة وهي التركيز على هدف الخطاب والانتباه الى المقام الذي ارتكز عليه البناء، فالتكرار حقق هدفا مهما وهو تعريف المتلقي حجم الخسارة والحسرة وهول المصيبة وفضاعتها اضافه الى تعداد مناقب الاندلس بمدنها وعصرها الزاهر، فساعد التكرار في بناء سلسة مترابطة من الافكار المتلاحمة للدلالة النصية واتصالها بالفكرة الرئيسة.

التماسك الداخلي في قصيدة ابي البقاء الرندي:-

ا) الانسجام :-يعرف الانسجام بأنه: ((الطريقة التي يتم بها ربط الافكار داخل النص)) [٢٤] وهذا يتطلب((من الاجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومية)) [٢٥] ,فالانسجام يهتم بالروابط التركيبية للجمل ومعرفة الدلالات والغايات التي من اجلها تكونت هذه الجمل بهذه الطريقة ومن ثم التوصل الى الخيط الذي من خلاله تتضح المعالني للجمل والعالقة الرابطة بينها . ففي قصيدة أبي البقاء الرندي تمر الابيات بمراحل محددة اذ يبداها بمقدمة وعظية حكيمة تتفق وسياق القصيدة وتسهم اسهاما فاعلا في ايصال رسالة الشاعر ومن ثم تهيئتهُ لما تحمله القصيدة من تفجع والم، وفقد، وموت، وفراق. فالأبيات تتراوح في معظم اجزائها بين التعميم والتخصيص. فتارة يتكلم بالحكمة والتأكيد على كل شيء سائر الى زوال وهنا شغل الرندي ذهن المتلقي وجعله ينتظر طريقة العرض التي سيتناولها في قصيدته فهو في ترقب كامل لسير الاحداث التي سيعرضها الرندي في متن القصيدة وهل تتوافق مع المقدمة الحكمية والوعظية التي اطلقها الشاعر في بداية قصيدته.؟ ففي قوله:-

فلو تراهمْ حيارى لا دليلَ لهمْ عليهِمُ منْ ثيابِ الذلِّ ألوانُ

نجده يلجأ الى التناص مع القرآن الكريم : ((ضربت عليهم الذلة والمسكنة))(ال عمران: ١١٢) فجاء هذا التناص سبيلا الى تحقيق الانسجام التي تقتضيه رغبة الشاعر من وصف الحالة التي مر بها اهل الاندلس ,ثم يعود ليستنهض الهمم العربية لإنقاذ الاندلس فيركزعلى معنى قرأني مهم وهو

قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) (ال عمران: ١٠٣) **ونجد هذا المعنى في قول أبي البقاء الرندي:**

ما ذا التقاطعُ في الإسلامِ بينكمُ وأنتمُ يا عبادَ الله إخوانُ
ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها هممٌ أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ

وهي محاولة جادة لإعادة الاندلس الى عهدها الباسم وحضارتها القديمة.

ب) الاستدلال:-للاستدلال دور مهم في ابراز دور المتلقي وما يقع على عاتقه من فهم ومعرفة الاليات والمضامين التي يجب ان يبحث عنها ومن ثم الاستدلال بها للحصول على فهم للترابط الحاصل بين فكرة وأخرى وبين البيت والبيت الاخر صريحا وظاهرا وهو بذلك ينظر الى الاستدلال على انه الحلقة المفقودة التي يصب عليها اهتمامه . وقصيدة أبي البقاء الرندي عامرةً بالاستدلالات المميزة والمهمة وكلها تؤكد جمال الاندلس ومدنها من جهة وعلو شأنها وتطورها ايضا، ومن جهة اخرى حجم الدمار والهوان والذلة التي حصلت فيها مما ادى الى سقوطها وانهيارها بيد الافرنج

ومن الابيات التي دفع بها الرندي للاستدلال على ذلك قولة:

يا غافلاً ولهُ في الدهرِ موعظةٌ إنْ كنتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يقظانُ
وماشيًا مرحًا يُلهيهِ موطنُهُ أبَعْدَ حمصٍ تَغرُّ المرءَ أوطانُ
فلو تراهمْ حيارى لا دليلَ لهمْ عليهِمُ منْ ثيابِ الذلِّ ألوانُ
ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعِهِمُ لهالَكَ الأمرُ واستهوتْكَ أحزانُ

وهنا اشارة واضحة لعظمة جمال الاندلس ومدنها فلجا الرندي الى الاستدلال ليظهر صورة الاندلس واهلها بعد تشتت الشمل ودمار الديار وهو جزء من التماسك الدلالي النصي في القصيدة.

ج) التماسك التداولي:-ان الحقيقة التي يمكن من خلالها وصف الخطاب الشعري هي انه التفاعل الحي الحاصل بينه وبين المتلقي لان كليهما يعمل بالفعالية نفسها داخل النص او العملية الإبداعية برمتها وهذا لايحصل الا بتناول النص ثم التشابك معه في جوانب كثيرة داخلية وخارجية . فهو هنا لا يبتعد ان يكون رطا حقيقيا لذهن المتلقي بالنص وعدم اغفاله لاي شيء منه . واذا ما و صفنا ذلك في قصيدة الرندي نجدها تهدف الى استشعار المتلقي لما حدث للاندلس واهلها، فسياق القصيدة العام والرئيسي يقوم على اساس رثاء الاندلس، وهذا بدوره يحيلنا الى نقطة مهمة وهي ان الاندلس لم تكن حكرا للشاعر فقط بل هي هي للمسلمين جميعا وعليه فان الامر يتطلب استنهاضا للهمم العالية لانقاذها واعادتها لسابق عهدها. واذا كان السياق قد حدد الالفاظ، وجملة الافكار من النص فانه يقوم بدور كبير في بناء التماسك النصي فالترابط بين الافكار وتسلسلها وتوافق ادوات الانسجام والاتساق يؤدي الى نتيجه مفادها ارتباط اجزاء النص بالمتلقي وجعله يستشعر الالم والحرقه التي حصلت بفقد الاندلس وهذا يدل على انسجام النص واتساقه.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة احدى اهم قصائد الرثاء الأندلسية وهي قصيدة ابي البقاء الرندي واعتمدت على اهم تقنيات التماسك النصي وضبطها داخل متن القصيدة. فقد اهتمت الدراسات النصية بدراسة الفن وعدّته وحدة لغوية متكاملة في محاولة لكشف جوانب عديدة من التماسك النصي وادواته الداخلية والخارجية، وجد الباحث ان التماسك والاتساق الشكلي حصل من خلال الترابط الموضوعي، وكان للاحالة دور مهم في فهم النص الشعري ومعرفة بنيته اللغوية. وهدف التكرار الى تماسك السياقات النحوية والعلمية وقد جاءت الدراسة جامعة بين التعريف بالرثاء والتماسك النصي وتوظيف الابيات النصية للوصول الى نتائج منفعة وهادفة.

الهوامش

١- بلاغة الخطاب، علم النص، صلاح فصل، عالم المعرفة. ١٩٩٢م، الكويت: ٢٢٩

٢- علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسين بحيري، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٧،لبنان: ١٣٢

٣- قسم الوداعي التماسك النصي الى : ١- التماسك الشكلي (العجمي ـ النحوي) ٢- التماسك الداخلي (الدلالي – الاستدلالي) وسبب الاختبار هو وضوح التقسيم واستيعابه وفهمه .يُنظر: التماسك الفني في نهج البلاغة: عيسى الوداعي . المركز العلمي للرسائل الاطاريح ط١، ١٤٢٦هـ , ٢٠١٥م

٤- يُنظر : رثاء الاندلس لابي البقاء الرندي (رحمه الله)، جميع النسخ عيسى بن محمد الشامي (قد١٥) مكتبة الاندلس.

٥- القاموس المحيط، الدين محمد الفيروزآبادى ، مكتبة. التراث في مؤسسة الرسالة: ١٢٨٧

٦- لسان العرب لابن منظور، دار صادر ، بيروت، د. ط: ١٠٠:١٨٦٣

٧- **تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دار المكتب العالمية، بيروت، د. ط، ١٩٩٧.ج٢٧: ٦٨**

٨- منهم الفراهيدي في كتاب العين وابن طب طب العلوي (.....الشعر) والقبرواني في (العمدة في محاسن الشعر وآدابه المؤلف ونقده)

٩- العين، الخليل بن احمد الفراهيدي ت: عبد المجيد هنداوي، ج٢،دار الكتب العلمية، ط. ٢٠٠٢: ٩٧

١٠- رثاء بغداد، البصرة في الشعر العباسي، عبد الله السناني، في رسالة ماجستير، جامعة طيبة.١٤٣٤هـ . ٢٠١٣: ١٦

١١- مقالات في تحليل الخطاب، حمادي صمود، كلية الآداب والفنون واللسانيات، منوبة , وحدة البحث في تحليل الخطاب، ٢٠٠٨: ٦٨

١٢- المصدر نفسه: ٧٢

١٣ – يُنظر: مدخل الى علم النص، مجالات تطبيقية، محمد الصبحي، الدار العربية للعلوم والنشر، ط: ٦٠

١٤. المصدر نفسه: ٧٧

١٥- لسانيات الخطاب، مباحث في الاندلس والاجراء، نعمان بوقرة، دار الكتب العلمية، ط. ٢٠١٢م: ٣٤

١٦-التماسك الفني نهج البلاغة، عيسى الوداعي، المركز العلمي للرسائل، الاطاريح ط، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م: ٣٠

١٧- يُنظر : مدخل الى النص : 82

١٨- التماسك الفني في نهج البلاغة: ١٩٦

١٩- المصدر نفسه: ١٩٨

٢٠- قصدوا بالإحالة القبلية: استعمال كلمة او عبارة تشير الى كلمة اخرى او عبارة اخرى سابقة في النص او المحادثة يُنظر : التماسك النصي في نهج البلاغة: ١٩٨

٢١- يقصد بالإحالة البعدية((استعمال كلمة او عبارة تشير الى كلمة اخرى او عبارة اخرى سوف تستعمل لاحقا في النص او المحادثة يُنظر: التماسك النص في نهج البلاغة: ١٩٩

٢٢- التماسك النصي في قصيدة تأملات حزينة لعبد العزيز فالح ، الباحثة ليلى قوامة، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف كلية الآداب واللغات، ٢٠١٦ – ٢٠١٧ : ٦٥

٢٣- يُنظر : التماسك الفني في نهج البلاغة: ٨٧

٢٤- النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط، ٢٠٠١م: ٤٨

٢٥- النص والخطاب والاجراء، روبرت بوجراند، ت: تمام حسان الكتب، ط، ١٤١٨هـ. ١٩٩٨م: ١٠٣

المصادر

ـ القران الكريم:ـ

٢- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة , ١٩٩٢, الكويت.

٣- تاج العروس، محمد الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١

٤- التماسك النصي في قصيدة تأملات حزينة، لعبد العزيز الفالح ، الباحثة ليلى قوامة، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف كلية الآداب واللغات،

٥- التماسك النصي في نهج البلاغة، عيسى الوادعي، المركز العلمي للرسائل والاطاريح٢٠١٥م.

٦- رثاء الاندلس لأبي البقاء الرندي (رحمه الله) الشيخ عيسى بن محمد الشامي (ق١٥)، مكتبة الاندلس

٧- العين. الخليل بن احمد الفراهيدي، عبد المجيد هنداوي ج ٢ دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٢م

٨- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٧

٩- القاموس المحيط، ت مجد الدين الفيروز ابادي، مكتبه التراث في مؤسسة الرسالة.

١٠- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت (د. ط١، ١٨٦٣)

١١- لسانيات الخطاب، باحث في التاسيس والاجراء، نعمان بوقرة، دار الكتب العلمية، ط٢٠١٢م

١٢- النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ٢٠٠١م

١٣- النص والخطاب والإجراء , روبرت بوجراند. ت: تمام حسان، ط ١ , ١٩٩٨م.